

المحاضرة التاسعة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث-تابع-

هدف المحاضرة 9: أن يتعرف الطالب على نوع مهم من أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث المتمثل في الوثائق

-**الوثائق:** وفي نفس السياق نجد الوثائق ذات أهمية كبيرة في كتابة تاريخ الجزائر عموماً، وعلى وجه الخصوص التاريخ الحديث، ومن هذا المنطلق، لا بد من تعريف الوثيقة تعريفاً لغوياً واصطلاحياً.

- **تعريف الوثيقة لغوياً:** مصدر قولك وثق به يثق به بالكسر فيهما، وثاقة وثقة ائتمنه، وأنا واثق به، وهو موثوق به وهي موثوق بها، وهم موثوق بهم. والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثائق: وفي حديث الدعاء، واخلع وثائق أفئدتهم، جمع وثائق أو وثيقة والوثيق: الشيء المحكم...، ويقال: أخذ بالوثيقة في أمره أي بالثقة. ووثقت الشيء توثيقاً فهو موثق. (115)

- **تعريف الوثيقة اصطلاحاً:** الوثائق هي المستندات التي تصدر من جهات رسمية أو من أفراد لهم صفة رسمية، وعرفها آخرون كل ما خلفه الحدث التاريخي، وهي نوعان؛ منشورة وغير منشورة، وقد اختلفت فيها الآراء، فدوائر المعارف والموسوعات ذكرت تعريفات عامة وشاملة لها، حيث نجد الموسوعة العربية الميسرة وصفت الوثائق بأنها المخطوطات التي تتألف من لفائف البردي وأدراج الرق، أو مطبوعات تشمل الإجراءات والمراسيم والقوانين والأوامر وحسابات الأموال وغيرها...، مما ينشأ عن تأدية أي عمل من أي نوع ويرجع إليها عند الدراسة، وهي لا تقتصر على وثائق الحكومة، بل قد تكون وثائق لمؤسسات أو لأشخاص...، يستخلص منها الباحثون أدلة لموضوعات تاريخية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، ودينية...، ونظراً لأهميتها صارت لديها ولاية قانونية، لكي تبقى بعيدة عن أيدي العابثين، وقد برزت أهميتها في العصر الحديث فأنشأت بسببها في المعاهد والكلليات أقسام خاصة بها⁽¹¹⁶⁾.

والحقيقة أن مفهوم الوثيقة واسع وشامل، فكل وعاء للمعلومات سواء كان قطعة أثرية أو مخطوطة أو مستندا قانونيا أو وثيقة أرشيفية أو كناشة شخصية هو وثيقة تاريخية ولكل منها مفهومه الخاص.⁽¹¹⁷⁾

***الوثائق غير المنشورة:** هي مجموعة الأوامر والتقارير ومحاضر الجلسات والاجتماعات والسجلات وأوراق الدولة والساسة والمسؤولين وتقاريرهم السرية والتي بقيت في دور الوثائق أو مراكز الأرشيف أو حتى عند بعض الأشخاص والعائلات ولم يطلع عليها الباحثون بعد⁽¹¹⁸⁾.

***الوثائق المنشورة:** هي عبارة عن وثائق قامت بعض الجهات بنشرها لإرشاد الباحثين لموضوعاتها، والأمثلة عن تاريخ الجزائر الحديث نجد:

أ- **وثائق بيت المال والبايليك:** هي عبارة عن السجلات الإدارية الخاصة بالفترة العثمانية المكتوبة باللغتين العربية والتركية، وتشمل معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مثل بيانات عن الضرائب المختلفة التي كانت تجمع من مختلف القطاعات، والعقارات الموقوفة ومداخيلها وأوجه إنفاقها، وأسماء الأعوان والإداريين المكلفين بها. وبالرغم من غزارة هذا النوع من الوثائق فإنها لا تغطي كل الفترة العثمانية فمعظمها يعود إلى القرن 12هـ/18م و13هـ/19م، كما أنها تقتصر على جهات من البلاد الجزائرية فقط، والقسم الأكبر منها خاص بمدينة الجزائر وضواحيها⁽¹¹⁹⁾.

ب- **وثائق المحاكم الشرعية:** هي عبارة عن العقود المبرمة بين الأشخاص في المحاكم الشرعية (الزواج-الطلاق-عتق العبيد-المواريث-العقارات الموقوفة...، ويعد هذا النوع من الوثائق من المصادر الأساسية لدراسة أحوال المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وهي تخص سكان المدن بالدرجة الأولى⁽¹²⁰⁾.

ج- الوثائق السياسية: هي عبارة عن الرسائل المتبادلة بين حكام الجزائر والباب العالي، والتقارير التي كان يرسلها وكلاء الجزائر والدولة العثمانية في الولايات المشرقية والبلدان الأوروبية إلى سلطاتهم، والفرامانات التي كان يصدرها سلاطين آل عثمان الخاصة بالجزائر، وهي كلها وثائق سياسية، إلا أن المتصفح الحاذق لها يجد فيها معلومات متنوعة.⁽¹²¹⁾

ولنعود إلى أهمية الوثائق والمصادر بصفة عامة، يقول مختص في هذا الشأن: "لذلك الوثائق غدت مصدرا هاما لأنها لو نشرت لأفادت في حل الكثير من الألغاز التاريخية، والتي مازال الغموض يكتنف البعض منها، هذا ما يخص الوثائق غير المنشورة."⁽¹²²⁾

وبما أن البحث الذي لا يقوم على المصادر الأصلية بحث ضعيف لا يرقى للمستوى العلمي المطلوب، وبما أن العثور على الوثائق الأصلية كالعثور على كنز، فالوثائق التاريخية من أهم المصادر في الكتابة التاريخية، وما يجب ذكره في هذا السياق هو التحقق من أصالة هذه الوثائق فقط، وذلك بإتباع طرق علمية معينة معروفة ومعلومة لدى الباحثين؛ الجانب الخارجي، الجانب الباطني، التحليل، المقارنة والتأني في إصدار الأحكام حولها⁽¹²³⁾.

رغم أهمية الوثائق في كتابة تاريخ الجزائر الحديث ينبغي على الباحث والمؤرخ إخضاعها لمقاييس النقد العلمي الظاهري والباطني لإثبات صحتها، وعلى الرغم من أن كتاب الوثائق قد عاشوا في وقت لم يكن في أذهانهم أن ما يكتبونه سيكون ذا قيمة تاريخية، وسيعتمد عليه في الكتابة التاريخية، فربما هذه الوثائق تعبر عن آراء أصحابها والتي قد لا تخلو من التحيز⁽¹²⁴⁾.

وعلى الرغم من أهمية الوثائق، إلا أنها لا تصنع الحقيقة التاريخية بل تظل أداة صماء في يد من لا يعرف كيفية التعامل معها، والحقيقة أن الوثائق تحتاج إلى سعة المعرفة والإطلاع، كما تحتاج إلى القدرة العلمية العالية والنقد الصائب في معالجة المسائل التاريخية

والتعرف على ملابسات الوقائع لإبراز ما بها من خفايا وأسرار وتلك هي الغاية من الكتابة التاريخية⁽¹²⁵⁾.

وفي اعتقادنا المتواضع أن هذا الحقل ما زال يحتاج إلى فرسان أكفاء وأقلام نزيهة وكتابات موضوعية، لاستخراج مضامين الوثائق الحقيقية واستخلاص الأسرار الخفية الموجودة في ثنايا الوثائق، والتي تخص تاريخ الجزائر الحديث المبعثرة هنا وهناك في المكتبات ودور الأرشيفات الأوروبية على وجه خاص.

لقد عرفت الساحة الجزائرية في هذا التخصص بعض الوجوه من أمثال فاطمة الزهراء قشي، عائشة غطاس، نجوى طوبال، ودان بوغفالة وحماش خليفة... وغيرهم، إلا أن القائمة ما تزال مفتوحة لاحتضان آخرين ممن يملكون الرغبة والقدرة للولوج في البحث الوثائقي والأرشيبي والذي نحسبه صعبا ولكنه ليس مستحيلا.

الهوامش والإحالات الخاصة بالمحاضرة التاسعة:

(115) - أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، مادة وثق، ص 371 .

(116) - ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 59

(117) - نفس المرجع، ص 60

(118) - نفس المرجع، ص 60

(119) - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص 511.

(120) - نفس المرجع، ص 512.

(121) - نفس المرجع، ص 512

(122) - ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق،

(123) - نفس المرجع.

(124)-نفس المرجع.

(125)-نفس المرجع.